القبط سواء منهم من اسر القول ومن جهر به ومازال الاقباط بالتاج الحان تحدث
مع محدو مد الامير بيبرس في ذلك وخيله من تلاف مال الخراج اذا بطل هذا العيد
فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال الدمني لم يعمل هذا العيد لا يطلع النيل
ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتمموا المكر فثبت
الله بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على منع العيد وقال
للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه وتعالى هو
المتصرف فيه فتكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة
ثمان وثلاثين وسبعمايه وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بحر النيل ليرمي
قوة التيار عن بر القاهرة الى ناحية الجيزة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب
الامير بلبغا اليحياوى والامير الطنبغا الماردينى من السلطان ان يخرجا الى الصعيد
ويغيبا مده فلم تطلب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتهتكه في محبتهما واراد صرفهما
عن السفر فقال لهما نحن نعيد عيد الشهيد فيكون تفرجكم عليه انزه من خروجكما الى
الصعيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الصليب فرضيا منه بذلك واشيع في
الاقليم اعادة عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة بعمله فيه ركب الامرا
في النيل الشختيار بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز ارباب الغنا واصحاب
اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات
وتوسع الامر في بيوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه عن الحد في الكثرة
البالغة وعم الناس بما وصل اليهم من الخيرات منهم ما لا يمكن وصفه لكثرتها واستمروا
على ذلك ثلاثة ايام فكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى
ان اعاده الملك الناصر ستة وثلاثين سنة واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى ان كانت
سنة خمس وخمسين وسبعماية تحوك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من
اراضي مصر على كنايس النصارى وزناراتهم والزم كتاب الامرا بتحديد ذلك وحمل الاوراق
الى ديوان الاحباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمس وعشرين الف فدان كلها
موقوفة على الديارات والكنايس فعرضت على امرا الدولة القايمين بتدبير الدولة في
ايام الملك الصالح صالح بن محمد قلاوون وهم الامير شيخو العمري والامير صرغتمش

والامير

٥٦

والامير طاز فتقرر الحال على ان ينعم بذلك على الامرا زيادة على اقطاعهم والزم النصا
بما يلزمهم من الصغار وعدمت لهم عدة كنايس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب رى
عند ذكر الكنايس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحا
الامير علا الدين علي بن الكوراني والي القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي القاهرة جب
فهدمت كنيسة النصارى واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصا
واحرق بين يديه في الميدان وذري رماده في الهوا نحو البحر حتى لا تاخذه النصارى لح
فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد ولله الحمد ذكر الخلجان التي شقت من النيل
اعلم ان النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتخرق الما فيها يمينا
وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلجان والترع والجسور والاحوار
بالوجه البحري واما الوجه القبلي وهي بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت
معالمه ودرست رسومه من هناك والمشهور من الخلجان خليج سخا وخليج منف
وخليج المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط ط
وخليج القاهرة وبحر ابي المنجا والخليج الناصري ظاهر القاهرة قال بن عبد الحكم
عن ابي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الما
ليجري من تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاوا ويرسلونه كيف شاوا وذلك قول
الله عز وجل عما حكي عن قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا
تبصرون ولم يكن في الارض يومئذ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل
من اوله الى اخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خلج خليج الاسكندرية
وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس
جنات متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى اخرها
مما يبلغه الما وكانت جميع ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا
من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر خليج سخا
وخليج سخا حفره تدارس بن صا بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح
وهو احد ملوك القبط القدما الذين ملكوا مصر في الدهر الاول قال بن وصيف شاه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1